كلمة رئيس الجامعة الأنطونيَّة الأب ميشال جلخ
في حفل تكريمه كأمين عام فخري لمجلس كنائس الشرق الأوسط
١٥ آذار ٢٠١٨

حضرة ممثلي أصحاب القداسة والغبطة والسيادة،
أصحاب السيادة والسعادة،
أيها الحضور الكريم والصديق،

ما كنتُ أحسَبُني أَحيا إلى زمنٍ أُكرَّمُ فيه مِن أحبارٍ أجلَّاء وأشخاصٍ أكارم كما أُكرَّمُ الليلة. لا لشيءٍ سوى لأنَّ التكريمَ في اللاوعي عندي يُرافِقُ الشَّيخوخة... وعلى ما يبدو، فإنَّ ملامحَها قد بدأت تظهر جليًّا على مُحيَّاي! فالتكريمُ والشَّيْبَةُ، في مكان ما، يترافقان ويترادفان!!

لا أخفي عنكم مدى ارتباكي وتردُّدي عندما فاتحتني حضرة الأمينة العامَّة العزيزة بهذا العشاء، حيث، ليس فقط، لم أعتدْ هكذا احتفالات وتكريمات، إنَّما لأنِّي تربَّيت في بيتي الوالدي وفي عائلتي الرهبانيَّة على روح يسوع القائل: "وأنتم متى فعلتم كلَّ ما أُمِرتُم به فقولوا: نحن خَدَمٌ بُسطاء، وما فعلنا إلاَّ ما كان يجِبُ علينا أن نفعل" (لو ١٧، ١٠).

قاومتُ قدر المستطاع، إلاَّ أنَّ مَنطقَ الأَمينة العَامَّة وإرادتَها الثابتة والقاطِعة كانت أقوى مِن أيِّ مقاومة؛ خصوصًا وأنَّها نجحت في إصابة نقطة ضعفي قائلة: "إنَّها حفلةٌ للمجلس أكثرَ ممَّ هي لك". غلبتني! كيف لا وقد أحببتُ هذا البيت الجامع وخدمتُ فيه أربع سنواتٍ ونيِّف. وناضلتُ مِنْ أَجله ودافَعتُ عنه في أحلك الظروف. لا أنكر أنَّني لم أسمع أبدًا عن المجلس في رُهبانيَّتي التي دخلتُها عن عمرٍ يناهز إحدى عشرة سنة حيث يبدو أنَّه لم يحصل أيُّ تفاعل أو عمل مشترك بينها وبين المجلس. لكن من باب خدمتي في الكرسيِّ الرسوليِّ عندما كنتُ أشمُلُ مسيحيِّي الشرق معًا بنظرةٍ واحدة من المنظار الفاتيكانيّ، كنتُ أتلهَّفُ لأن يكونَ هناكَ كيانٌ ما يجمَعُ الكنائس، ليس فقط لكي تتفاعل بين بعضها البعض نظرًا لحاجَتها لصوتٍ واحد يُعبِّرُ عن وجَعها وقَلقها وهُمومها المشترَكة، كما وعَن فَرحها وتَعدُّد مواهِبها وإرثها الروحيِّ والليتورجيِّ والثقافيِّ والفنِّي، إنَّما أَيضا وخصوصًا نظرًا لحاجة المسيحيِّين في الغرب لنبَض وروح وغنى إخوتهم المسيحيِّين في الشرق. وإذ بالعناية الإلهيَّة توصِلُني إلى مَركز الأَمانَة العامَّة لهذا الكيان الذي طالما تمنَّيتُهُ أَن يَكون.

بالطَّبع هناك مَن حاول ثَنيي عن استلام هذه المسؤوليَّة ولا سيَّما أنَّ الصعوبات الإدارية والمالية كانت في أوجِّها، إلاَّ أنَّني لم أَستَطِع إلاَّ أَنْ أرى الرسالة الساميَة التي يحمِلُها مجلِس كنائس الشرق الأوسط، والدورَ الذي وَحدَهُ يُمكِنُ أن يَلعَبَه في تنسيق أدوار الكنائس والجماعات والمؤسَّسات المسيحيَّة الموجودة. هذا عدا عن أنَّني بطبعي لا استسلِمُ أمامَ صعوبة، خصوصًا، عندما أكونُ واثِقًا من القضيَّة السامية التي أستَشعِرُها مُسبَقًا وأُجاهِدُ مِن أَجلها في عَمَلي اليوميّ.

واليوم، عندما أنظُرُ إلى الوراء وتعود بيَ الذاكِرَةُ إلى نيسان ٢٠١٣، أُلاحِظُ الفرقَ وأميِّزُ بين عناصر القوَّة وعناصر الضَّعف التي رافقتني. أعترف أنَّ التقصير في زياراتي لرؤسائنا وأحبارنا شكَّل عاملَ ضعفي الأَساسيّ، إلاَّ أنَّهُ بالمقابل استطعتُ أنْ أُعيدَ بعضًا مِن بهاءِ المجلس عبر الإدارة الماليَّة والمحاسَبَة أولًا، وعَبْرَ إعادَة الاعتبار إلى أهميَّته المحوريَّة في العمل المسكونيِّ والبرامِج الحواريَّة لتعزيز التناغُم والفَهم المتبادل. وقد شكَّلَتْ شفافيَّة المجلس الهمَّ الأكبر لي، لا لشيء سوى لأنَّ شفافيتَهُ هي انعكاسٌ لشفافيَّة الكنائس، فالمجلسُ في نهايَة الأمر يعكسُ وجه الكنائس وصورَتَها وهيبتَها ووحدَتَها وإيمانَها ورَجَاءَها .

كلُّ هذا لم يَكُن ليتم لولا مساعدةِ أشخاصٍ ضَحُّوا مَعي حتَّى تبقى رايَةُ المجلسِ مرفوعَة. ذَكرتُهُم مرَّاتٍ عدَّة وشكرتُهُم خِلالَ تقاريري السابقة للجنَةِ التنفيذيَّة والجمعيَّة العامَّة. أمَّا اليومَ فأريد أن أذكُرَ وأحيِّي فريقَ العمل ومعاونيَّ المباشرين في المجلس مِنَ الأمين العام المشارك الأب العزيز جيمي دنحو، إلى الأستاذ سامر لحَّام، والآنسة منال بشارة، والسيد طارق عبد الساتر، ونينا حلّاق، وغريس بستاني، وغسان ولودي وأنترانيك وبيثاني وبيار، وغادة. أشكرهم كثيرا خاصّة وأنَّهم تحمّلوا الكثير مني في أوقات غضبي.

يطيب لي أن أتوجَّه بالشكر إلى الأب فادي ضو الذي، وعلى الرغم من انشغالاته كلِّها، لم يبخل عليَّ مرَّةً بمساعدة أو مشورة. أَتوجَّهُ بالشكر الكبير إلى صاحب السيادة المطران بولس صيّاح الذي تفهَّم وضعي منذ البداية، وساعدني بكلِّ ما أوتي من قوَّة وإرادة في كلِّ مبادرة أو نشاط قمتُ به، وكان لي الملهِمَ الأبويَّ والناصحَ الأخويَّ ورافقني منذ الصيفيَّة الماضية بشكلٍ يوميٍّ تقريبًا لكي تمرَّ هذه المرحلة الانتقاليَّة بسلام. وفي ختام شكري أتوجَّهُ بالعرفان الجميل الكبير إلى مَن استلم عنِّي مسؤوليَّة الأمانة عن جدارة واستحقاق: إنَّها الآنسة ثريا بشعلاني التي أعتَزُّ بها وأفتَخِر متمنّيًا لها كلَّ التوفيق والنجَّاح.